



كذبتان سياسيتان على معاوية - رضي الله عنه - (مع تفنيدهما)

سليمان بن صالح الخراشي

متابعة مني لما ابتدأه أخي الشيخ عبدالله زقيل - وفقه الله - ([على هذا الرابط](#)) من تفنيد الشبهات التي يذكرها أهل الأهواء تجاه معاوية - رضي الله عنه - ؛ أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد من ائمتهم على كتابة الوحي ؛ أحببتُ أن أفنّد هنا شبهتين باطلتين طالما تكررتا في كتابات أولئك ؛ مع التنبيه إلى أن الدفاع عن معاوية - رضي الله عنهم - فضلا عن كونه عقيدة يدين الله بها كل مسلم لم يفسد قلبه بمرض الغل والحقد على خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم - فإنه مهمٌ جدًا ؛ بسبب أن معاوية - كما قال العلماء - " ستر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه " ؛ كما شاهدنا هذا واقعًا من بعض أهل الأهواء ؛ حيث انتقلوا من الطعن فيه إلى الطعن في غيره من كبار الصحابة ؛ كعثمان وطلحة والزبير وغيرهم . فالدفاع عنه هو خط الدفاع الأول عن الصحابة - رضي الله عنهم - .

المسألة الأولى: اتهام معاوية - رضي الله عنه - والدولة الأموية بنشر "الجبرية" !

يردد المغرضون اتهامًا عجيبًا وقديمًا للدولة الأموية ؛ وعلى رأسها معاوية - رضي الله عنه - أنها كانت تروج للفكر الجبري وتنشره بين الناس ؛ لتباعد بينهم وبين الخروج عليها ، أو محاولة تغييرها . فيكون الرضا بتسلط هذه الدولة على المسلمين عقيدة راسخة يدينون الله بها ؛ وهذا ما يبتغيه بنو أمية ؛ وعلى رأسهم الصحابي الجليل : معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - !

وقد صدق الشيخ محمود شاكر - المؤرخ المعاصر - عندما قال : "إن تاريخ بني أمية قد أصابه الكثير من التشويه" . [2] حيث تعرضت هذه الدولة المسلمة التي لم يأت من بعدها بعُشر فضائلها لحملة واسعة من التشويه المتعمد من قبل أعداء كثيرين ؛ في مقدمتهم مؤرخو الشيعة الذين اختلقوا الأكاذيب والمفتريات عليها ، وقلبوا محاسنها مساوي . وقد أحسن الدكتور حمدي شاهين في كتابه الجديد " الدولة الأموية المفترى عليها - دراسة الشبهات ورد المفتريات "

[3] ؛ عندما أنصف هذه الدولة في كتابه هذا الذي أتمنى أن يعود إليه الأستاذ الشنقيطي - وكذا غيره من المهتمين - ليتبين لهم مقدار التجني والتحامل الذي تعرضت له تلك الدولة العظيمة.

يقول الدكتور حمدي : “ ظفر معاوية بن أبي سفيان بحظ وافر من فيض المطاعن والاتهامات ، وكانت مواجهته علي بن أبي طالب - بمكانته السامية عند المسلمين - سبباً في ذبوع هذه الاتهامات وترسخها ؛ فوصفوا سياسته بالميكافيلية وإرهاب الخصوم ، وإحياء النزعة القبلية ، وتخذيذ المعارضة بشل الروح الثورية ، وبث روح الجبر والإرغاء .. ” [4].

وفي ظني أن أول من أشاع هذه الفرية على معاوية - رضي الله عنه - : المعتزلة الأوائل الذين أبغضوا الأمويين لأسباب عديدة ؛ من أهمها : أن عقيدتها في القضاء والقدر سنية ، بخلاف عقيدة المعتزلة القدرية [6] ، ولهذا أطلقوا على كل من خالف عقيدتهم البدعية بأنه " جبري " ! ، ومنها : أن عقيدتهم في تسويغ الخروج على حكام المسلمين تخالف عقيدة أهل السنة التي تأمر بعدم الخروج على الحاكم المسلم الجائر ، وتُلزم المسلمين بطاعته في غير معصية الله ؛ حفظاً لوحدهم ودمائهم ، وهي عقيدة مرجعها أقواله صلى الله عليه وسلم الأمرة بذلك ، فليست من اختراع معاوية أو غيره من أهل السنة ؛ كما يتوهم الثوريون أتباع المعتزلة .

ولهذا فقد شن رجال المعتزلة حملتهم على دولة بني أمية السنية ، متوافقين في ذلك مع الروافض .

يقول الجاحظ في إحدى رسائله : “ عندها استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقية الشورى ، وعلى جماعة المسلمين ؛ من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعة ، وما كان عام جماعة ، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً ، والخلافة غصباً قيصرياً .. ” الخ هرائه [7].

فتأمل منازعة هذا المعتزلي المتهتك [8] لجماعة المسلمين الذين فرحوا بالصلح بين معاوية والحسن - رضي الله عنهما - ، الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله عن الحسن - رضي الله عنه - : " إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين " . أخرجه البخاري .، وسمّوا العام الذي حدث فيه عام الجماعة .

ثم تأمل كذبه وتناقضه عندما أوهم أنه مع الخلافة الراشدة ويدعو لها ؛ وهو كإخوانه أهل الاعتزال في تفسير الخليفة الراشد عثمان - رضي الله عنه - !! وبعضهم يُصرح بأنه لايقبل شهادة الخليفة الراشد علي - رضي الله عنه - ! [9]

ثم جاء بعده المعتزلي الآخر القاضي عبدالجبار ، فردد هذه التهمة في كتابه " طبقات المعتزلة " [10]

وفي عصرنا الحاضر تتابع - للأسف - بعض المؤلفين المتحاملين على الدولة الأموية ؛ على ترديد هذه التهمة الغربية دون دليل معتمد . وإليك أمثلة لهم :

قال أحمد أمين في كتابه " ضحى الإسلام " [11] : " وبنو أمية كما يظهر كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة لا دينياً فقط ولكن سياسياً كذلك ؛ لأن الجبر يخدم سياستهم. فالنتيجة للجبر أن الله الذي يسير الأمور قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء ، ودولتهم بقضاء الله وقدره فيجب الخضوع للقضاء والقدر " .

وقال النشار في كتابه " نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام " [12] : " كان معاوية يُعلن الجبر بالشام " .
وقال شاکر مصطفى في كتابه " دولة بني العباس " [13] : " إن خلافة بني أمية تقوم على مبدأين... المبدأ الثاني : أن ما يتم على الأرض فإنما هو بإرادة الله ؛ لأن الإنسان مسير لا مخير ، وفلسفة الجبرية كانت تقوم في أساس الفكر الأموي، ولو أراد الله غير ما هو كائن لفعل " .

وقال الدكتور عفت الشرقاوي في كتابه " أدب التاريخ عند العرب " [14] : " وكان عَوانة يهتم بالصراع السياسي والحربي بين الإمام علي وخصومه ، مع ميل إلى تأكيد فكرة الجبر في تفسير حوادث التاريخ ؛ وهي الفكرة التي كان يشجع على بثها بين علماء المسلمين خلفاء بني أمية تأكيداً لسلطانهم السياسي " .

وقد رد الدكتور محمد بن صامل السلمي في كتابه " منهج كتابة التاريخ الإسلامي " [15] هذه التهمة الشنيعة بقوله :
" بسبب الانحراف في مفهوم القضاء والقدر وقع جملة من الكتاب المعاصرين في أخطاء شنيعة في تقديرهم للدولة الأموية والحكم عليها ؛ حيث قالوا إن الدولة الأموية شجعت الاتجاه نحو الجبر والإرجاء ، وقالت إن أعمالها لا تجوز معارضتها ؛ لأن من يعارضها يعتبر منكراً للقدر ، إذ لو أراد الله غير ذلك لكان. وقد أطلق هؤلاء الكتاب هذا القول دون أن يوردوا عليه دليلاً، وهذا يرينا مدى التشويه الذي يلحق تفسير حوادث التاريخ الإسلامي عندما توضع في منظور غير إسلامي وعندما تنحرف المفاهيم والتصورات، وهذا الفهم الذي ذهبوا إليه والحكم الذي حكموا به مبني على الجهل بمفهوم القضاء والقدر وتوهم أن بينه وبين التكاليف الشرعية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله معارضة، وليس الأمر كذلك كما أوضحناه.
كما أن الوقائع التاريخية الثابتة تكذب هذا الادعاء ؛ فقد قُتل كلٌّ من غيلان الدمشقي ومعبد الجهني اللذين أنكرا القدر في ظل الدولة الأموية كما قُتل الجعد بن درهم والجهم بن صفوان إماما الجبرية بأمر من الخلفاء الأمويين " .

قلتُ : ومما يزيد هذه التهمة بطلاناً : أن معاوية – رضي الله عنه – عندما تصالح مع الحسن – رضي الله عنه – كان الاتفاق بينهما أن يتولى الحسن الخلافة بعده ؛ "وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي ليسمّينه وليجعلن هذا الأمر إليه". [16] فكيف يُتهم رضي الله عنه بنشر فكر الجبر ثم يعهد بالخلافة للحسن ؟!

المسألة الثانية : اتهام معاوية بسن لعن علي – رضي الله عنهما – على المنابر !!

وهي أكذوبة شيعية سرت بين بعض المؤرخين - دون إسناد - تزعم أن معاوية - رضي الله عنه - أمر بسب علي - رضي الله عنه - على المنابر طوال عهده! ثم توارث ذلك بنو أمية إلى عهد عمر بن عبدالعزيز الذي أوقف هذا السب.

ثم سرت إلى بعض من يروي الغث والسمين، فصدقها من قال اللهم عنهم):وفيكم سماعون لهم(. ومن هؤلاء : الدكتور الشنقيطي صاحب كتاب " الخلافات السياسية بين الصحابة " ، وصاحبه الذي نقل عنه؛ عبدالمعطي قلعجي محقق كتاب "جامع المسانيد والسنن" لابن كثير؛ الذي استجاز لنفسه أن يلعن معاوية - رضي الله عنه - متكئاً على هذه الأكذوبة الرافضية التي ألصقت -ظُلماً وزوراً- بمعاوية[17].

والغريب أن قلعبياً هذا قال في مقدمته لكتاب "جامع المسانيد والسنن"[18] معلقاً على موقف ابن كثير -رحمه الله- من الحرب بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - بعد إيراد حديث: "تفترق أمتي فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق": "فهذا الحديث من دلائل النبوة؛ إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام؛ من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب، وإن كان معاوية مجتهداً، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علياً هو الإمام؛ فله أجران..." ! فتأمل تناقض هذا الكلام الطيب مع لعنه السابق !

وأيضاً: فقد علق قلعجي على "فتاوى ابن الصلاح"[19] عند مسألة سب يزيد بن معاوية ولعنه قائلاً: "وإني أميل إلى أن يُلعن من تتوفر فيهم الصفات الملعونة جملة وبطريقة جامعة: مثلاً : لعنة الله على الظالمين، أما لعنة شخص بعينه على وجه التحديد فهذا أمر غير لا نق" !

قلتُ : فما بال قلعجي وقع هنا في الأمر غير اللائق؟! لأن لعنته لمعاوية - رضي الله عنه - وخلفاء بني أمية لعنة محددة.

أعود إلى الأكذوبة والتهمة الرافضية لمعاوية : فقد رجعتُ إلى أدلة الشيعة على هذه القضية فوجدتها تنقسم قسمين:

1- أحاديث صحيحة لا تدل على كذبتهم .

2- روايات تاريخية تحوي هذه الكذبة، لكن دون إسناد!

فأما القسم الأول ؛ وهو ما أورده الأستاذ الشنقيطي نقلاً عن القلعجي - مستدلاً به على لعن معاوية لعلي - رضي الله عنهما - ، أو أمره بذلك ؛ فهو ثلاثة أدلة :

الأول - ما أخرجه مسلم في صحيحه " باب فضائل علي " عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال : " أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمَّا ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلن أسبُّه ، لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمُر النَّعَم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له

و خَلَّفَه فِي مَغَازِيهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا تَرْضِي أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبُوَّةَ بَعْدِي. وَسَمِعْتَهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: ادْعُوا لِي عَلِيًّا، فَأَتَيْتُهُ بِهِ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ... }، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ، هَؤُلَاءِ أَهْلِي "[20].

و جوابه أن يُقال: هذا الحديث لا يفيد أن معاوية أمر سعداً بسبِّ عليٍّ، ولكنه كما هو ظاهر فإن معاوية أراد أن يستفسر عن المانع من سب عليٍّ، فأجابه سعد عن السبب، ولم نعلم أن معاوية عندما سمع رد سعد غضب منه ولا عاقبه، وسكوت معاوية هو تصويب لرأي سعد، ولو كان معاوية ظالماً يجبر الناس على سب عليٍّ كما يدّعي الشيعة ومن تابعهم، لما سكّت على سعد ولأجبره على سبِّه، ولكن لم يحدث من ذلك شيء، فَعُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِسَبِّهِ وَلَا رَضِيَ بِذَلِكَ.

قال النووي شارحاً هذا الحديث: " قول معاوية هذا، ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبِّه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك. فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب، فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك، فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كان في طائفة يستبّون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار وأنكر عليهم، فسأله هذا السؤال. قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده، وتُظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ "[21].

وقال القرطبي معلقاً على وصف ضرار الصَّدَّائِي لعلي رضي الله عنه وثناؤه عليه بحضور معاوية، وبكاء معاوية من ذلك، وتصديقه لضرار فيما قال: "وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل علي رضي الله عنه ومنزلته، وعظيم حقه، ومكانته، وعند ذلك يبعد على معاوية أن يصرح بلعنه وسبِّه، لما كان معاوية موصوفاً به من العقل والدين، والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح، وأصح ما فيها قوله لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية سكّت وأذعن، وعرف الحق لمستحقه "[22].

الثاني: حديث أبي حازم عن سهل بن سعد قال: استُعمل على المدينة رجلٌ من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليًّا، قال: فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبييت فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي بها "[23].

فيقال عنه: يُطالب الشنقيطي بإثبات أن الرجل الذي دعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليًّا هو معاوية! ولفظ الأثر: "رجل من آل مروان"، وليس فيه ذكرٌ لمعاوية؛ فلا يليق بمسلم أن يلومه بجريرة غيره؛ كما قيل:

غيري جنى وأنا المعذب فيكمُ *** فكأنني سبابة المتندم !

الثالث : أثر عبدالرحمن بن الأخنس أن المغيرة بن شعبة خطب فنال من علي ، فقام سعيد بن زيد فقال : أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ، وأبوبكر في الجنة ، وعمر في الجنة ... الحديث "[24]

ولا أدري ما علاقة هذا بمعاقبة - رضي الله عنه - ؟!

وكما قلتُ في الأثر السابق : لا ينبغي لمسلم أن يؤاخذ بصنيع غيره ، وإلا كان من الظالمين . وقد عُلم - أيضاً - أن السب واللعن ليس بأعظم من القتال الذي جرى ، وقد وقع من الطرفين - رضي الله عن الجميع - ، فمثل هذا يطوى ولا يروى ، أو يُتخذ ديناً أو شماعة للطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع الإقرار بأنهم بشر ليسوا بمعصومين ، يعتريهم ما يعتري البشر .

وأما القسم الثاني: فحكايات وأخبار يتناقضها المؤرخون وأهل الأدب دون خطاب ولا زمام. ومعلوم أن هؤلاء "حطبة ليل" كما بين العلماء، فكم في كتبهم ومصنفاتهم من أباطيل ومفتريات لا تقوم على ساق عند النقد العلمي. يقول الشيخ محمود الألوسي -رحمه الله-: " إن المؤرخين ينقلون ما خبث وطاب ، ولا يميزون بين الصحيح والموضوع والضعيف ، وأكثرهم حاطب ليل ، لا يدري ما يجمع "[25].

فمن نقلوا هذه الأكاذوبة الشيعية في مصنفاتهم :

-الطبري في تاريخه[26] من طريق أبي مخنف "الشيعي الساقط" عند ذكر قصة التحكيم المكذوبة: قال " .. وكان - أي علياً- إذا صلى الغداة يقنت فيقول: اللهم العن معاوية وعمرأ وأبا الأعور السلمي وحبيباً وعبدالرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد. فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت لعن علياً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً" ! وهذه الرواية باطلة؛ لأنها من رواية الشيعي المحترق أبي مخنف لوط بن يحيى[27] ولذا قال ابن كثير بعد ذكرها في "البداية والنهاية"[28]: "ولا يصح هذا".

ومعلوم قول الطبري في مقدمة تاريخه : " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا ، وأنا إنما أديننا ذلك على نحو ما أدى إلينا " .

وأيضاً : يلزم من يحتج بهذه الحكاية الباطلة على ذم معاوية - رضي الله عنه - أن يقول مثل ذلك في علي - رضي الله عنه - لأنه هو البادئ باللعن والسب! والله يقول (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)، فإن اعتذر لعلي

وأما أهل السنة — والله الحمد- فيشهدون ببطلان هذه القصة، ويترضون عن الجميع .

وعن الطبري تداول هذه الحكاية بعض المؤرخين الذين صرحوا في مقدمات كتبهم اعتمادهم عليه؛ كالمسعودي[29]، وابن الأثير[30].

ثم تفنن من بعدهم من مؤرخي الشيعة وغيرهم من الفرق الضالة أعداء الصحابة؛ كالمعتزلة والخوارج في حبك هذه الأكذوبة والزيادة عليها، وأنها استمرت يُعمل بها عشرات السنين على منابر المسلمين!! دون أن ينكرها أحد ! إلى أن جاء عمر بن عبدالعزيز فأبطلها.

انظر على سبيل المثال: "مروج الذهب" للمسعودي (41/3-42)، و"شرح نهج البلاغة" للشيخي المعتزلي ابن أبي الحديد (778/1-790)، (752/5، 754، 759). و"الكامل" للمبرد (نقلًا عن شرح نهج البلاغة 1/778، ولم أجده في المطبوع من الكامل)، و"الرد على الإمامية" للجاحظ (نقلًا عن شرح نهج البلاغة 1/778 وما بعدها) و"الأحداث" للمدائني، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه (انظر النصائح الكافية لابن عقيل، ص 96-98) ، وغيرهم .

ثم تلقفها من هؤلاء: بعض المؤرخين والكتاب المعاصرين ممن لا يفرق بين الغث والسمين ، أو كان ذا نوايا سيئة ؛ كالدكتور حسن إبراهيم حسن في تاريخه (1/323) ، والعقاد في كتابه عن معاوية (ص14) ، والمودودي في " الخلافة والملك " (ص 112-113) ، والتليدي في "فضائل الصحابة"!(ص159-160)، والحجوي في " الفكر السامي " (ص 54) ، وعبدالله النفيسي ! في كتابه " عندما يحكم الإسلام " (ص 111) ، وحسن المالكي في كتابه "نحو إنقاذ! التاريخ الإسلامي" (ص20 وما بعدها) وحسن السقاف في تعليقه على "دفع شبه التشبيه"؛ لابن الجوزي (ص236) والتيجاني في كتاب "ثم اهتديت !، (ص 106-107، 121، 169).

علماء وكتّاب ردوا هذه الفرية :

- قال الشيخ الألوسي - رحمه الله - في كتابه " صب العذاب على من سب الأصحاب "[31] : " وما يذكره المؤرخون من أن معاوية رضي الله تعالى عنه كان يقع في الأمير كرم الله تعالى وجهه بعد وفاته ويظهر ما يظهر في حقه ، ويتكلم بما يتكلم في شأنه مما لا ينبغي أن يعول عليه أو يلتفت إليه ؛ لأن المؤرخين ينقلون ما خبث وطاب ، ولا يميزون بين الصحيح والموضوع والضعيف ، وأكثرهم حاطب ليل ، لا يدري ما يجمع، فالاعتماد على مثل ذلك في مثل هذا المقام الخطر والطريق الوعر والمهمه الذي تضل فيه القطا ويقصر دونه الخطا ، مما لا يليق بشأن عاقل ، فضلا عن فاضل " .

- وقال الشيخ محمد العربي التباني في "تحذير العبقري من محاضرات الخصري" [32] راداً هذه التهمة: "أقول: لم يثبت عن معاوية رضي الله عنه أنه سب علياً أو لعنه مرة واحدة فضلاً عن الاهتمام به والتشهير به على المنابر، وقد تقدم ثناؤه وترحمه عليه في أثر ضمرة بن حمزة الكناني وغيره، فكلامه - أي الخصري - هذا باطل لا أصل له عنه رضي الله عنه".

وقال: "إن الصحابة بشر يصدر منهم في حالة الغضب في حق بعضهم بعضاً ما يصدر من غيرهم" [33].

- الدكتور عبدالعزيز محمد نور ولي في رسالته "أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري" [34].

- الشيخ محمود الزعبي في "البيانات في الرد على أباطيل المراجعات" [35]، قائلاً: "أما قول الرافضي بأن معاوية رضي الله عنه لعن علياً على منابر المسلمين؛ فهو محض كذب وبهتان؛ بل هو معارض بما ثبت عن معاوية أنه بكى علياً يوم قتله، وأنه كان يترحم عليه، ويعترف بأفضليته عليه".

- الشيخ صالح بن سعد اللحيدان في كتابه "نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات" [36] قائلاً: "لم يثبت بنص صحيح أبداً، ولم يصل إلينا نص سالم من المعارض؛ إنما فهم المؤلف هذا وأقره ونقله من خلال مجرد نقل سار عليه من كتب مذهبية إخبارية تاريخية وشعبوية، وحديثية لم يصح سندها، وهذه المقولة لاكها نقلة كثيرون في هذا بسبب تعصب أو جهل بمقتضيات حقيقة السند والتمت".

- الشيخ عبدالعزيز بن حامد في رسالته "الناحية عن طعن أمير المؤمنين معاوية" [37].

- الشيخ سليمان العلوان في رده على السقاف "إتحاف أهل الفضل والإنصاف" [38].

- الشيخ خالد العسقلاني في رده على التيجاني "بل ضللت" [39].

- الدكتور إبراهيم شعوط في كتابه "أباطيل يجب أن تُمحي من التاريخ" [40].

ومما يزيد هذه الفرية وهناً [41]:

1- أن معاوية- رضي الله عنه - منزه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، فقد كان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، وثبت في سنن الترمذي بسند صحيح من حديث عبدالرحمن بن عميرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية: "اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهد به" [42].

وكان محمود السيرة في الأمة، أثنى عليه بعض الصحابة وامتدحه خيار التابعين، وشهدوا له بالدين والعلم، والعدل والحلم، وسائر خصال الخير.

فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لما ولّاه الشام: "لا تذكرُوا معاوية إلا بخير" [43].

وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال بعد رجوعه من صفين: "أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتُم الرؤوس تنذر عن كواهلها كأنها الحنظل" [44].

وعن ابن عمر أنه قال: "ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية. فقيل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر - رحمه الله - خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه" [45].

وعن ابن عباس قال: "ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية" [46].

وفي صحيح البخاري أنه قيل لابن عباس: "هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة قال: إنه فقيه" [47].

وعن عبدالله بن الزبير أنه قال: "لله در ابن هند - يعني معاوية - إنا كنا لنفرقه وما الليث على برائته بأجراً منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لو ددت أنا مُتْعنا به ما دام في هذا الجبل حجر وأشار إلى أبي قبيس" [48].

وعن قتادة قال: "لو أصبحتُم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي" [49].

وعن مجاهد أنه قال: "لو رأيتُم معاوية لقلتُم هذا المهدي" [50].

وعن الزهري قال: "عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً" [51].

وعن الأعمش أنه ذكر عنده عمر بن عبدالعزيز وعده فقال: "كيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: يا أبا محمد يعني في حلمه؟ قال: لا والله، بل في عدله" [52].

وسئل المعافى: معاوية أفضل أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: "كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمر بن عبدالعزيز" [53].

والآثار عن السلف في ذلك كثيرة، وإنما سقت هنا بعضها.

كما أثنى على معاوية - رضي الله عنه - العلماء المحققون في السير والتاريخ، ونقاد الرجال.

يقول ابن قدامة المقدسي: "ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين - رضي الله تعالى عنهم-". [54].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمة" [55].

وقال: "فلم يكن من ملوك المسلمين خير من معاوية، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمان معاوية" [56].

وقال ابن كثير في ترجمة معاوية: "وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين... فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو" [57].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين" [58].

وقال الذهبي في ترجمته: "أمير المؤمنين ملك الإسلام" [59].

وقال: "ومعاوية من خيار الملوك، الذين غلب عدلهم على ظلمهم" [60].

وإذا ثبت هذا في حق معاوية؛ فإنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن يحمل الناس على لعن علي t على المنابر وهو من هو في الفضل. وهذا يعني أن أولئك السلف وأهل العلم من بعدهم الذين أثنوا عليه ذلك الثناء البالغ، قد مألوه على الظلم والبغي واتفقوا على الضلال وهذا مما نزهت الأمة عنه بنص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة" [61].

2- من علم سيرة معاوية في الملك، وما اشتهر به من الحلم والصفح، وحسن السياسة للرعية، ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه.

فقد بلغ معاوية في الحلم مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال ؛ قال عبدالملك بن مروان وقد ذُكر عنده معاوية: "ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه"[62].

وقال قبيصة بن جابر: "ما رأيت أحداً أعظم حلمًا، ولا أكثر سُوددًا، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجًا، ولا أرحب باعًا بالمعروف من معاوية"[63].

ونقل ابن كثير: "أن رجلاً أسمع معاوية كلاماً سيئاً شديداً، فقليل له : لو سطوت عليه؟ فقال: إنني لأستحيي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي"[64].

وقال رجل لمعاوية: "ما رأيت أنذل منك، فقال معاوية: بلى من واجه الرجال بمثل هذا"[65].

فهل يُعقل بعد هذا أن يسع حلم معاوية سفهاء الناس وعامتهم المجاهرين له بالسب والشنائم، وهو أمير المؤمنين، ثم يأمر بعد ذلك بلعن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب على المنابر، ويأمر ولاته بذلك في سائر الأمصار والبلدان؟! الحكم في هذا لكل صاحب عقل وفهم .

3- قال ابن كثير: "وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إنني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني... الخبر"[66].

ونقل ابن كثير أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: " لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم"[67].

فهل يسوغ في عقل ودين أن يسب معاوية علياً بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا؟!

4- أنه لا يعرف بنقل صحيح أن معاوية تعرض لعلي بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته؟! فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

5- أن معاوية كان رجلاً ذكياً، مشهوراً بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي—حاشاه ذلك— أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص، وهو من هو في الفضل والورع، مع عدم دخوله في الفتنة أصلاً!! فهذا لا يفعله أقل الناس عقلاً وتدبيراً، فكيف بمعاوية.

6- أن معاوية انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له واجتمعت عليه الكلمة والقلوب ودانت له الأمصار بالملك، فأين نفع له في سب علي؟ بل الحكمة وحسن السياسة تقتضي عدم ذلك، لما فيه من تهدئة النفوس،

وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية الذي شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

7- أنه كان بين معاوية بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي من الألفة والتقارب، ما هو مشهور في كتب السير والتاريخ. ومن ذلك أن الحسن والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمائتي ألف. وقال لهما: "ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال له الحسين: ولم تعط أحد أفضل منا"[68].

ودخل مرة الحسن على معاوية فقال له: "مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له بثلاثمائة ألف " [69].

وهذا مما يقطع بكذب ما ادعي في حق معاوية، من حمله الناس على سب علي، إذ كيف يحصل هذا ؟ مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة، والاحتفاء والتكريم . وبهذا يظهر الحق في هذه المسألة، وتتجلى الحقيقة.

بقي أن يقال :

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " منهاج السنة "[70] : "وأما ما ذكره - أي الرافضي - من لعن علي؛ فإن التلاعن وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة، وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وقيل: إن كل طائفة كانت تقنت على الأخرى، والقتال باليد أعظم من التلاعن باللسان، وهذا كله؛ سواء كان ذنباً أو اجتهداً، مخطئاً أو مصيباً؛ فإن مغفرة الله ورحمته تتناول ذلك؛ بالتوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وغير ذلك...". وما أجمل أن يقال هنا ما قاله الأعمش - رحمه الله - : " حدثناهم بغضب أصحاب محمد الله صلى الله عليه وسلم فاتخذوه ديناً " [71].

والعجب من الرافضة وأشباههم عندما تراهم يتمدحون بأن علياً - رضي الله عنه - ومن معه كانوا يسبون أو يدعون على معاوية - رضي الله عنه - ومن معه ، ويرون ذلك منقبة لهم ! في مقابل التشنيع على غيرهم بالحكايات الباطلة والموضوعة .

قال يحيى بن حمزة الإمام الزيدي في رسالته "الوازية للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين"[72] : "وانظر في معاملته -أي علياً رضي الله عنه لمعاوية وعمر بن العاص وأبي الأعور وأبي موسى الأشعري؛ فإنه كان يعامل هؤلاء باللعن والتبري منهم" ! فهو يفتخر بأن علياً كان يلعن معاوية - رضي الله عنهما - !!

قال الشيخ مقبل الوداعي -رحمه الله- في الهامش -متعقباً-: "أما اللعن فلم نجده في شيء من كتب السنة المعتمدة بعد البحث الطويل، وأما الدعاء عليهم فقد صح عنه رضي الله عنه: قال ابن أبي شيبة (2/137): حدثنا هشيم قال: أخبرنا حصين، قال: حدثنا عبدالرحمن بن معقل: قال: صليت مع علي صلاة الغداة؛ ففقت، فقال في قنوته: اللهم عليك

بمعاوية وأشياعه، وعمر بن العاص وأشياعه، وأبا الأعور السلمي وأشياعه، وعبدالله بن قيس وأشياعه، قال البيهقي (2/204) وقد أخرج بعضه: صحيح مشهور، وهو كما قال من حيث الصحة؛ فهو على شرط الشيخين" اهـ كلام الشيخ مقبل.

ومن المناسب أن أختتم بما أخرجه عبدالرزاق في "مصنفه" عن عروة: أن المسور بن مخرمة أخبره أنه وفد على معاوية، فقضى حاجته، ثم خلا به فقال: يا مسور! ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسن. قال: لا والله، لتكلمني بذات نفسك بالذي تعيب عليّ. قال مسور: فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلا بينت له. فقال: لا أبرأ من الذنب، فهل تعد لنا يا مسور مائلي من الإصلاح في أمر العامة؟ فإن الحسنه بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب وتترك الإحسان؟ قال: ما نذكر إلا الذنوب. فقال: فأنا نعتزف الله بكل ذنب أذنبناه. فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم تُغفر؟ قال: نعم. قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحق مني؟ فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخير بين أمرين: بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه، وإنني لعلّ دين يُقبل فيه العمل ويُجزى فيه بالحسنات، ويُجزى فيه بالذنوب إلا أن يعفو الله عنها. قال: فخصمني. قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه " [73].

تنبيه مهم: وجدتُ تشابهاً كبيراً بين كتاب الأستاذ الشنقيطي "الخلافاً السياسية.. " وكتاب المودودي "الخلافة والملك" في قضايا أساسية كبيرة؛ كالنظرة إلى عدالة الصحابة، أو التحامل على معاوية - رضي الله عنه - وبني أمية، وتصديق ما يتناقله رواة الشيعة عنهم من أكاذيب، أو التبعج بعد الاعتماد على كتاب "منهاج السنة" لشيخ الإسلام، وكتاب "العواصم" لابن العربي، وادعاء الاعتماد على المصادر الموثوقة! - هي عنده: تاريخ الطبري وكتاب الإمامة المكذوب على ابن قتيبة!! - وأشياء أخرى (انظر: ص 66، 78، 84، 113، 205، 219، 233 من كتاب المودودي). فالنفس هو النفس. وقد زاد كتاب المودودي بما هو أسوأ عندما لمز عثمان - رضي الله عنه -! (انظر: ص 64، 70، 71). ومن خلال اطلاعي على كتاب المودودي أرى أنه يحتاج إلى نقض وتقيد ما جاء فيه من آراء أصبحت دستوراً لمن بعده من أصحاب الروح الثورية - هدامهم الله - . وقد ذُكر في خاتمته أن بعض علماء الهند رد عليه، فليت طالب علم من تلك البلاد يقوم بترجمة ردود العلماء وطباعتها.

رضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و غفر الله لنا ولهم، و لجميع من أحبهم، وجمعنا بهم في دار كرامته. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

- [2] التاريخ الإسلامي (4/5).
- [3] ط: دار القاهرة للكتاب، 2001م.
- [4] ص 12.
- [5] ص 28.
- [6] ينظر رسالة "المعتزلة وأصولهم الخمسة"؛ للدكتور عواد المعتقد.
- [7] رسالة في النابتة، مطبوعة ضمن "رسائل الجاحظ" (12-1/10)، تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون - رحمه الله -.

- [8] قال ابن حزم عنه: "كان أحد المُجَان، ومن غلب عليه الهزل، وأحد الضُّلَّال المضلين". (الفصل..، 5/39). وقال الإمام ابن قتيبة في كتابه "مختلف الحديث"، ص 59-60: "تجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ.. وهو مع هذا من أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل".
- [9] ينظر في هذا: رسالة "تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة" للدكتورة عفاف مختار (460-1/459).
- [10] (3/14).
- [11] (3/81).
- [12] (1/231-232).
- [13] (1/28).
- [14] ص 257.
- [15] ص 202 - 203.
- [16] طبقات ابن سعد (331-1/330)، تحقيق الدكتور محمد السلمي، وقال عن الخبر: إسناده صحيح.
- [17] انظر تعليقه على مسند معاوية رضي الله عنه (11/566)، وقد نقله الدكتور في كتابه (ص 101).
- [18] (ص 177).
- [19] (ص).
- [20] صحيح مسلم، (4/1871).
- [21] شرح صحيح مسلم (15/175).
- [22] المفهم (6/278).
- [23] أخرجه مسلم (2409).
- [24] ينظر: السنة لابن أبي عاصم، تحقيق الدكتور باسم الجوابرة (2/949 وما بعدها).
- [25] صب العذاب على من سب الأصحاب، ص 421.
- [26] (5/113).
- [27] ينظر: رسالة "مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري" للدكتور يحيى اليحيى.
- [28] (7/295).
- [29] ينظر مقدمة تاريخه (1/15).
- [30] ينظر مقدمة تاريخه (1/3).
- [31] ص 421.
- [32] (2/198).
- [33] (2/299-300).
- [34] ص 370.
- [35] ص 35.
- [36] ص 194.
- [37] ص 72.
- [38] ص (243 - 245).
- [39] ص 47، 61.
- [40] ص 394 - 396.
- [41] ينظر كتاب "الانتصار للصحب والآل" للدكتور إبراهيم الرحيلي -حفظه الله- (377-362)، وعنه أنقل بتصرف.
- [42] السلسلة الصحيحة للألباني، (4/615).
- [43] البداية والنهاية (8/125).
- [44] المرجع السابق (8/134).
- [45] المرجع السابق (8/137).
- [46] المرجع السابق.
- [47] فتح الباري (7/103).
- [48] البداية والنهاية (8/138).
- [49] السنة؛ للخلال (1/438).
- [50] المرجع السابق.
- [51] المرجع السابق (1/444).
- [52] المرجع السابق (1/437).
- [53] المرجع السابق (1/435).
- [54] لمعة الاعتقاد، ص 33.
- [55] مجموع الفتاوى (4/478).
- [56] منهاج السنة (6/232).
- [57] البداية والنهاية (8/122).
- [58] شرح العقيدة الطحاوية، ص 722.
- [59] سير أعلام النبلاء (3/120).
- [60] المرجع السابق (3/159).
- [61] السلسلة الصحيحة؛ للألباني (رقم 1331).
- [62] البداية والنهاية (8/138).
- [63] المرجع السابق.

- [64] المرجع السابق.
- [65] المرجع السابق.
- [66] المرجع السابق (8/132).
- [67] المرجع السابق (8/133).
- [68] المرجع السابق (8/139).
- [69] المرجع السابق (8/140).
- [70] (4/468) وانظر: "إتحاف أهل الفضل والإنصاف" للشيخ سليمان العلوان، ص 61-62.
- [71] سير أعلام النبلاء ، (2/394) .
- [72] ص 112 - 121
- [73] سير أعلام النبلاء ، وقال المحقق : رجاله ثقات ، وهو في المصنّف (20717) .

سليمان الخراشي

- [كتب ورسائل](#)
- [رسائل وردود](#)
- [مطويات دعوية](#)
- [مقالات](#)
- [اعترافات](#)
- [حوارات](#)
- [مختارات](#)
- [ثقافة التلبّيس](#)
- [نسائيات](#)
- [نظرات شرعية](#)
- [الصفحة الرئيسية](#)